إبن الهلاك وأمر مجيء ربّنا يسوع المسيح واجتماعنا لديه (٢ تس ٢: ٣)

الأخت باسمة الخوري الأنطونية
أستاذة مادة العهد الجديد، جامعة الروح القدس – الكسليك

"لا يَخدَعَنَّكم أَحَدٌ بِشَكْلٍ مِنَ الأَشكال،
فلا بُدَّ قَبلَ ذلِكَ أَن يَكونَ ارتِدادٌ عنِ الدِّين،
وأَن يَظهَرَ رَجُلُ الإِلْحاد، اِبْنُ الهَلاك" (٢ تس ٢: ٣).

إبن الهلاك! عبارة صعبة التفسير والفهم، وكثيرة التشعّبات والإشارات. فمن هو "إبن الهلاك"، وإلى من أراد القديس بولس الإشارة من خلاله؟ فهل هو "يهوذا الذي دخل فيه الشيطان"، على ما نجد في الإنجيل الرابع، فكان الهالك الوحيد بين الذين أعطاهم الآب ليسوع ابنه الوحيد (يو ١٧: ١٢)؟ أم هو النبي الدجال الذي يشير إليه كاتب رسالة يوحنا الأولى؟ أم هو الشيطان بذاته، التنين العظيم الذي سيقوم بمعركة نهائية ضد المسيح وشعبه، على ما نقرأ في الرؤيا؟ أم هو شخص جماعي، أو فرد لا نعرف هويته، ولكن لا بد من ظهوره لتتم الأزمنة الأخيرة ويتحقق مجيء الرب؟

أسئلة كثيرة تطرحها هذه العبارة، وكأننا في المأزق عينه الذي عاشه أهل تسالونيكي، فاستحقوا هذه الرسالة الثانية.

فماذا توضح الرسالة هذه؟ ومن قصد بولس بقوله؟

في البداية، يشير القديس بولس بوضوح الى موضوع المقطع، فيؤكد بأن الأمر يتعلّق بـ"أَمْرِ مَجيءِ رَبِّنا يسوعَ المسيحِ واجتِماعِنا لَدَيه" (٢ تس ٢: ١)، ويطمئن إلى عدم ضرورة الإضطراب الذي يبدو أن أمورًا ثلاثة تسببت به "نُبُوَّةٍ أَو قَولٍ أَو رِسالَةٍ يُزعَمُ أَنَّها مِنَّا تَقولُ إِنَّ يَومَ الرَّبِّ قد حان". ذلك أن المجيء هذا يجب أن تسبقه علامات واضحة أوّلها **"الإرتِدادُ عنِ الدِّين"** و**"ظهور رَجُلُ الإِلْحاد، اِبْنُ الهَلاك"**.

من شبه الأكيد، أنها ليست المرة الأولى التي يُكلَّم فيها بولس أهل تسالونيكي عن هذا الموضوع (آ ٥)؛ فمن الواضح أنه يحدّثهم عن شيء يعرفونه تمامًا (١ تس ٥: ١)، ويُشغِل بالهم ويخيفهم. لكن الرسول يعتبر كل هذه الأقوال محاولة تضليل وخداع، لا مبرر لأخذها على محمل الجد. وفي كلامه عن خوفهم من نهاية العالم، وضع بولس هذا الأمر في إطار جليانيي واضح، قاده الى ذِكْر المواضيع الرؤيوية المعتادة وأوّلها "الخداع" (ἐξαπατήσῃ)[1] (آ٣، ١٠)

(١) بهذا الصدد يجعل القديس بولس من موضوع السهر لازمة في كل رسائله لتنبيه المؤمنين من خطر الخطأ العقائدي والأخلاقي (رج ١ كور ٦: ٩؛ ١٥: ٣٣؛ غل ٦: ٧؛ كول ٢: ٤، ٨؛ ١ تيم ٤: ٢؛ ٢ تيم ٣: ١٣؛ تيط ١: ١٠). صحيح أننا لا نجد الفعل ἐξαπατάω في هذه المراجع، لكننا نقرأه في روم ٧: ٢، وفي ١٦: ١٨ حيث الخطيئة هي التي تخدع، وفي ١٦: ٨ حيث يتعلّق بالإخوة الذين يختلفون بالعقيدة عن بولس، وفي ٢ كور ١١: ٣ حيث الحية هي التي خدعت حواء. الخداع المقصود هنا هو إذًا خداع كبير، وخطير، ومقصود.

القادر على جرّ المؤمنين الى الإيمان بأن يوم الرب قد حان، وذلك من خلال **الارتداد** عن الإيمان الحق واتّباع **انسان الخطيئة** (رج مت ٢٤: ٤، ١١، ٢٤؛ لو ٢١: ٨).

الإرتداد (ἀποστασία)

"الإرتداد" (ἀποστασία)، وهو العلامة الأولى لمجيء يوم الرب هو، بحسب القديس بولس، الإبتعاد عن الدين، الذي يتسبب به (ἀποστάτης).

استُعمِلت الكلمة بمعنى الإرتداد السياسي عند يوسيفوس وفي ١ عزرا ٢: ٢٧؛ وبالمعنى الديني في ١ مك ٢: ١٥؛ صعود أشعيا ٢: ١٤، وفي أش ٣٠: ١؛ ٢ مك ٥: ٨؛ عد ١٤: ٩؛ يش ٢٢: ١٦، ١٩. ونجد الفعل ἀφίστημι بالمعنى عينه في تث ٣٢: ١٥؛ يش ٢٢: ١٨–١٩، ٢٣؛ دا ٩: ٩؛ جا ١٠: ١٢، وصار تعبيرًا خاصًا لا يحتاج الى تفسير في إر ٣: ١٤؛ أش ٣٠: ١، إلخ. في العهد الجديد نجد الفعل بالمعنى الديني (أع ٨: ١٣).

ميّز الارتداد أيام انطيوخوس ابيفانوس بحسب ١ مك ٢: ١٥، فدخل هذا الفعل منذ ذلك الوقت في وصف آخر الأزمنة (رج أخنوخ الأثيوبي ٤١: ٧؛ اليوبيلات ٢٣: ١٤ت؛ ٤ عزرا ٥: ١ي).

الإلحاد (ἀνομίας) اِبْنُ الهَلاك (ἀπωλείας)

أما العلامة الثانية والتي سنتوقف عليها في دراستنا هذه فهي "ظهور رَجُلُ الإِلْحاد (ἀνομίας)، اِبْنُ الهَلاك" (ἀπωλείας). وفي العبارة البولسية، كما هو واضح، توحيد لهذا الشخص، بحيث أن رجل الإلحاد هو نفسه رجل الهلاك المنتظَر.

الإلحاد (ἀνομίας)

تشتق الكلمة اليونانية ἀνομίας، التي تعني "الإلْحاد"، من الجذر νομος أي "شريعة"، أُضيفت إليه "α" اللاغية فأصبحت الكلمة تعني "بلا شريعة"، مما يدعو إلى تفسيرها على نحوين:

- حالة من لا يتبع شريعة معيّنة، سياسية كانت أو اجتماعية أو دينية، لأنه غريب عن الشعب الذي يتبعها، أو لأنه لا يعرفها.
- حالة من هو ضد "شريعة ما" أو ضد "الشريعة"، وفي ذلك حُكْمٌ على إنسان كان خاضعًا لشريعة أو للشريعة، بحسب المفهوم اليهودي – المسيحي، لكنه ارتدّ عنها، فتحوّل الى خاطيء، ملحد!

نجد عبارة ἀνομίας بوفرة في السبعينية التي استعملتها لترجمة أكثر من عشرين عبارة عبرية أهمها עָוֹן التي ترد حوالي ٦٠ مرة؛ و אָוֶן التي ترد حوالي ٢٥ مرة في المزامير خاصة، و פֶּשַׁע حوالي ٢٠ مرة، و תּוֹעֵבָה حوالي ٢٥ مرة في حزقيال خاصة.

دلّت عبارة ἄνομοι في اليهودية على الوثنيين، ووصفت مزامير سليمان ١٧: ١٨ بومباي القائد الروماني بالـ ἄνομος بمعنى الكافر. أما في العهد الجديد فمتّى هو الإنجيلي الوحيد الذي يستعملها دائمًا في إطار مسيحاني. ففي نص أول نقرأ: "إليكم عني أيها الأثمة" (ἀποχωρεῖτε ἀπ' ἐμοῦ οἱ ἐργαζόμενοι τὴν ἀνομίαν) (مت ٧: ٢٣)، والعبارة متأتية من مز ٦: ٩ حيث الكلام عن نهاية العالم. وفي نص ثانٍ، يعود إلى العبارة عينها في معرض كلامه عن الملائكة، الذين سينتزعون من الأرض كل فعلة الآثام (مت ١٣: ٤١)، وقد سمّاهم يسوع أبناء الشر، الذين زرعهم الشيطان، عدو أبناء الملكوت. ثم يعود في نص ثالث إلى نهاية الأزمنة، حيث يشكل ازدياد الإثم، وفتور المحبة علامة دامغة للنهاية (مت ٢٤: ١٢).

لكن لو ٢٢: ٣٧ هو المكان الوحيد الذي تبدو فيه عبارة ἄνομος أكيدة بمعنى "فاعل السوء"، وذلك في كلامه عن اللصوص. أما في ١ كور ٩: ٢١ فالـ ἄνομος هو من لا يتبع الشريعة الموسوية؛ وهم الوثنيون في أع ٢: ٢٣. أما في ١ تيم ١: ٩ فالـ ἀνόμοις هم فاعلو الشر، كما في ٢ بط ٢: ٨.

تأتي عبارة ἀνομία أحيانًا كمرادف لـ ἁμαρτία (روم ٤: ٧) في مقابل البر δικαιοσύνην (روم ٦: ١٩). وقد وضع القديس بولس الإثم

في ٢ كور ٦: ١٤–١٦ على المستوى عينه مع الأصنام، والشيطان، والظلمات، وغير المؤمن. فالمقصود إذًا هو جوهر من رفضوا البشارة، أو حالة البشرية بلا البشارة، بعد أن جاء المسيح ليخلّصنا من الإثم (رج ١يو ٣: ٤–٥؛ ٢بط ٢: ٨)، أي من معارضة إرادة الله الخلاصية. هكذا تتضح هوية ἄνθρωπος τῆς ἀνομίας: إنه "رجل بليعار" أو "ابن بليعار (אִישׁ בְּלִיַּעַל) بحسب ٢ كور ٦:١٥ (رج ٢ كور ٦: ١٥؛ ٢ تس ٢: ٣).

بالحقيقة، كان اليهود يظنون بأن בְּלִיַּעַל هي عبارة تجمع عبارتي בְּלִי עוֹל أي "بلا نير". لكن بليعال في الأدب الرؤيوي تحوّل إلى اسم علم، أضاع جذوره، فصار "بليعال" حينًا، و"بليعار" حينًا آخر (في المنحولات خاصة، وفي كتابات قمران). وقد استعملت السبعينية لترجمة בְּלִיַּעַל عبارة ἀνόμημα حينًا (تث ١٥: ٩)، ἀνομία حينًا آخر (٢ مل ٢٠: ١٣)، لكنها تستعمل عبارات أخرى أيضًا، بحيث نبقى دون تأكيد للمعنى الذي تعطيه لها. لكن الأكيد هو أن بليعار بالنسبة الى بولس هو الشيطان (٢ كور ٦: ١٥).

الشيطان رجل الإلحاد!

ليس "الشيطان" إسم علم بل هو إسم وظيفة يشتق من الجذر العبري שָׂטָן الذي يعني "عارَضَ". أن يكون أحد شيطانًا لأحد آخر، هو أن يتسبب له بالمشاكل والخصامات. هكذا مثلاً صار رزون الدمشقي "خَصْمًا (שָׂטָן) في إِسْرائيلَ كُلَّ أَيّامِ سُلَيمان" (١مل ١١: ٢٥). وفي عد ٢٢: ٢٢ نقرأ أن "ملاكُ الرَّبِّ وَقَفَ في الطَّريقِ لِيُخاصِم (أو ليقاوم، לְשָׂטָן) بلعام" أي ليمنع حماره من التقدّم. يبدو "الشيطان" في العهد القديم كاسم جنس وليس كاسم علم، فالكلمة تظهر دائمًا مع ال التعريف. هو بشكل دائم المعادي الأكبر كما في زك ٣: ١ حيث يقف أمام الله ليتهم يشوع الكاهن الأكبر، أو في مقدمة كتاب أيوب حيث يتقدّم ليجرّب الرجل البار.

حافظت السبعينية على المعنى باستعمالها الفعل διαβάλλων والاسم διάβολος، فيما حافظت الفشيطو على ܣܛܢܐ، أما الترجمات اليهودية فمترددة. في الآرامية، نقرأ في ترجوم أيوب العبارة كما هي، فيما تفسِّر ترجمة سعدية العربية "مُعادي أيوب"، ويعطي الترجوم الآرامي لكتاب زكريا "من يُخطّيء".

الشيطان هو مبدأ الشر في هذا العالم. ففي سفر التكوين تؤكّد "الحية" أن الهدف من ثمرة شجرة المعرفة هو أن يصبح آدم وحواء "كالله". هذه الثمرة ليست سوى رمز للمقدرة على الخصب، أي إلى المقدرة على الخلق الذي يجعل الانسان شبيهًا بالله، لكنها لا تُعطي اللاموت الفردي، الذي سعى اليه الإنسان، فتسبب في طرده من الجنة. بمحاولته سرقة اللاموت الشخصي/الفردي ومبادلته بلاموت الجنس، إرتكب الانسان الخطيئة. فالخطيئة هي إذًا خطيئة الزوجين البشريين، فيما لم تفعل الحية سوى كشف ضعفهما. إنها **المجرّب** أكثر منها المُفسِد. أخذت هذه الحية صورة الشيطان في المفهوم اليهودي، وتحوّلت في ما بعد إلى ملاك الموت، لذلك سمّته رؤيا باروك والمدراش سمائيل، من الجذر "سم" لأن الموت يسمِّم. وقد أخذ، في نصوص قمران، أسماء أخرى كثيرة "بليال" أو "بليار" أو "ملاك الظلمات" الذي يقابل "ملاك الأنوار" أي ملاك الرب[٢].

الشيطان قليل الحضور في العهد الجديد، لكن حيث نقرأ عنه لا تبدو صورة الحية بعيدة. المقصود من هذه الصورة هو ما يقود الانسان الى الفشل في نموّه الانساني، لأنها من أفسد العلاقة بينه وبين الله مصدر وجوده. هو الشيطان برفضه لمشروع الله الخالق وكلامه الذي يفتح للإنسان طريق الخلاص.

(٢) رأت هذه الفرضيات النور من خلال سيناريو نجده في كتاب أخنوخ في أسطورة سقوط الملائكة، وهو ما نجده في خلاصة صغيرة في تك ٦: ١–٤ في تبرير الطوفان من خلال إرادة الله في التخلّص من العمالق.

في كتاب الرؤيا، "التِّنِّينَ الحَيَّةَ القَديمة، هي إبْليسُ والشَّيطان" τὸν δράκοντα ὁ ὄφις ὁ ἀρχαῖος, ὅς ἐστιν Διάβολος καὶ ὁ Σατανᾶς (رؤ ٢٠: ٢)، وهذا ما نجده في الإنجيل الرابع (يو ٨: ٤٤).

ابْنُ الهَلاك (ἀπωλείας)

لتوضيح هوية "رجل الإلحاد"، يضيف إليه القديس بولس صفة ثانية: إنه "إبن الهلاك (ὁ υἱὸς τῆς ἀπωλείας)"، لكن العبارة، وبدلاً من توضيح هوية هذا الشخص، تزيد من صعوبة فهمنا لها.

يعود القديس بولس إلى استعمال الفعل ἀπόλλυμι في الآية ١٠ (τοῖς ἀπολλυμένοις) مما يساعدنا في تفسير المقصود. يدل الفعل في اللغة اليونانية الكلاسيكية، على التدمير والإفناء والخسران. أما في العهد الجديد، فإنه عندما يشير إلى خسران النفس الأبدي، أو خسارة الذات، فهو يقابل بين هذه الخسارة والحياة أو الخلاص. وهذا هو المعنى الذي نجده عند بولس ويوحنا. فـ ١ كور ١: ١٨-١٩ يقابل بين τοῖς μὲν ἀπολλυμένοις وبين τοῖς σῳζομένοις (رج لو ١٣: ٣٣؛ أع ٢: ٤٧).

يتردد موضوع فناء الخاطيء كثيرًا في العهد القديم[٣]. أما في العهد الجديد فأعداء صليب المسيح هم الذين يسيرون الى هلاكهم (فيل ٣: ١٩)، والانجيل هو سبب هلاك لأعدائه (فيل ١: ٢٨) وعاقبتهم الهلاك (فيل ٣: ١٩). فليس "ابن الهلاك" كذلك لأنه يجرّ الى الإثم العديد من البشر وحسب، بل لأنه يجمع في ذاته ملء الشر[٤].

ابن الهلاك في العهد الجديد

لا ترد عبارة "ابن الهلاك" في العهد الجديد إلا في ٢ تس ٢: ٣ وفي يو ١٧: ١٢ حيث يؤكد يسوع في صلاته الكهنوتية قبل آلامه وموته وقيامته، وفي معرض كلامه عن تلاميذه: "حَفِظتُهم باسمِكَ الَّذي وَهَبتَه لي وسَهِرتُ فلَم يَهلِكْ مِنهُم أَحَدٌ إِلاَّ ابنُ الهَلاك فتَمَّ ما كُتِب" في إشارة الى يهوذا. لهذا المرجع الأخير أهمية كبرى في فهمنا للعبارة. فيهوذا "ابن الهلاك" في الإنجيل الرابع هو الأداة التي استعملها الشيطان، وقد دخل فيه ليلة العشاء الأخير ليسلم يسوع. فـ"ابن الهلاك" هو إذًا في علاقة مباشرة مع الشيطان، إبليس.

في الإنجيل الرابع

في الحقيقة لا يذكر يوحنا الإنجيلي الشيطان سوى نادرًا. إنه من خدَعَ يهوذا وأغواه، وهو "رئيس هذا العالم". هو المعادي ليسوع، والمسؤول عن كل الأحداث التي انتهت بموت المسيح، لكن الحقيقة العميقة هي أنها إنتهت إلى دماره هو بالذات.

في يو ١٧: ١٥ يذكر الانجيلي "الشرير "τοῦ πονηροῦ"، لكنه لا يذكر أبدًا الأرواح الشريرة، ولا يُخرج مخطّطات هذا الشرير خارج إطار أعمال "اليهود" الذين، برفضهم ليسوع، صاروا "أبناء إبليس" المتمثّل بشخص يهوذا خاصة، بعد أن تحوّل إلى رجل الثقة الخاص به.

---

(٣) نجد هذا الموضوع في المزامير خاصة (رج مز ١٠: ٦، ٧؛ ٢٧: ٢٠؛ ٧٣: ٣؛ ٦٨: ٣؛ أش ٤٢: ٢؛ ٥٩: ١٢). في غالبية النصوص يتعلّق الأمر بالفناء الفوري على المستوى الأرضي، لكن العبارة هي دومًا في علاقة مع ᾅδης وθάνατος وἈβαδδών. في السبعينية يترافق الجذر مع الكلمات عينها التي ترافق الفعل. في أي ٢٦: ٥ ᾅδης وἈβαδδών مع ἀπώλεια؛ أم ١٥: ١١؛ أي ٢٨: ٢٢ نجد ἡ ἀπώλεια καὶ ὁ θάνατος؛ مز ٨٨: ١٢ τάφος وἀπώλεια وهي ألدّ أعداء الإنسان. يتكلم مت ٧: ١٣ عن طريق الهلاك التي تقابل طريق الحياة. الـ σκεύη ... εἰς ἀπώλειαν "آنيةَ النَّقمَةِ الّتي لِلهلاكِ" يناقضان المجد في روم ٩: ٢٢.

(٤) في رؤ ٩: ٢ يُسمّى ملاك الهاوية Ἀβαδδών في العبرية و Ἀπολλύων في اليونانية، لكن لا شيء يُثبِت أن هناك علاقة بين ملاك الهاوية وابن الهلاك. إن الـ ἀπώλεια عند القديس بولس هي حالة مناقضة للحياة وللخلاص وللمجد وليست مكانًا.

انطلاقًا من دراستنا لشخصية يهوذا في الانجيل الرابع، يمكننا الوصول إلى فهم الصورة التي يرسمها يوحنا للشيطان "ابن الهلاك" المتمثّل بالتلميذ الذي تحوّل خائنًا، قاتلاً.

صورة يهوذا في الانجيل اليوحنوي هي صورة قاتمة. في أول ذكر له في يو ٦: ٦٦–٧١، حيث يرى النقاد إنه الحدث الذي يقابل اعتراف بطرس عند الإزائيين في قيصرية فيليبس، يمتنع يوحنا عن وصف بطرس بالشيطان، كما في مر ٨: ٣٣، ومت ١٦: ٢١، ليحتفظ بهذا اللقب ليهوذا (٦: ٧٠).

نقرأ في يو ١٢: ١–٨ عن حدث مسح يسوع بالطيب، وهو خبر يذكره مرقس ١٤: ٣–٩، ولكن في حين يقول مرقس بأن بعض الحاضرين استاؤوا من هدر الطيب الغالي وتذمّروا في ما بينهم، يؤكد يوحنا بأن من استاء وتذمّر علنًا هو يهوذا، ويعطي تفسيرًا لموقف هذا الأخير، يُظهِر فساده وشرّه... (يو ١٢: ٦).

يهوذا، عند يوحنا، هو أداة الشيطان. فعمله الذي أسلم فيه يسوع يعود الى استسلامه للتأثير الشيطاني (رج لو ٢٢: ٣). يذكر يوحنا ذلك مرتين: في بداية الفصل ١٣ عندما "أَلْقى إِبْليسُ في قَلْبِ يَهوذا بْنِ سِمعانَ الإِسخَريوطيِّ أَن يُسلِمَه" (يو ١٣: ٢)، وأثناء العشاء عندما "دَخَلَ فيه الشَّيطان" ... فخرج وكان "قد أَظلَمَ اللَّيل" (يو ١٣: ٣٠). في الإشارة الى إقتراب ساعة الآلام ساعة الظلمات، وتنفيذ عمل الشرير.

بعد ذلك لن يعود يهوذا الى الظهور قبل الفصل ١٨ حيث يأتي على رأس مجموعة من "حَرَسِ الهَيكَلِ والحَرَسِ الَّذينَ أَرسَلَهم عُظَماءُ الكَهَنَةِ والفِرِّيسِيُّونَ" (١٨: ٣)، بعد أن كان يسوع قد قال في يو ١٤: ٣٠–٣١ "سيّد هذا العالم آتٍ...". في مر ١٤: ٤٢ ومت ٢٦: ٤٦ نجد الدعوة عينها للإنطلاق من هنا، ولكن دون الإشارة الى هوية الآتي. يهوذا هو، بالنسبة الى يوحنا، تجسيد لحضور الشيطان سيّد هذا العالم، وهو ما تؤكده عبارة "إبن الهلاك υἱὸς τῆς ἀπωλείας" في صلاة يسوع بالإشارة الى يهوذا (يو ١٧: ٢).

الهلاك ἀπώλεια في العهد الجديد هو الهلاك الأبدي، كما ورد أعلاه، وهو المعنى الذي تعطيه السبعينية أيضًا. ولنا في كتابات قمران مرادف لهذه الآية. ففي "قانون الجماعة"، الهلاك الأبدي" (שחת) هو نصيب من يسير بحسب روح الخداع (1QS 4: 12)، وقد تعلّم أعضاء الجماعة أن لا يتعاطوا مع "رجال الهلاك" (1QS 9: 17)، بل أن ينظروا إليهم بكراهية (1QS 9:22). وفي "درج دمشق" وصية لأعضاء الجماعة بالانفصال عن "أبناء الهلاك" والتقليل قدر المستطاع من التعاطي معهم (CD 6: 15P 13: 14).

من هنا يمكننا لاستنتاج أن يوحنا يشير إلى يهوذا من خلال هذه العبارة كخارج عن دائرة التلاميذ، وبالتالي كرجل مصيره الهلاك. إنه الرجل الذي لا يصلّي له يسوع، وبالتالي هو إنسان مصيره الفناء لأنه لم يؤمن بيسوع (٣: ١٦)، ولم يعد من خاصته (١٠: ٢٨).

ترد عبارة "ابن الهلاك" في ٢ تس ٢: ٣ في سياق وصف العدو الأخير، الذي يُنبيء ظهوره بحلول الأزمنة الأخيرة. هذه الشخصية الإسكاتولوجية، هي عند بولس "رجل اللا شريعة ... إبن الهلاك". وابن الهلاك هذا ليس الشيطان، بل من يتمم أعماله وينفّذ إرادته... (٢تس ٢: ٨–٩). هذا "المسيح الدجّال" على ما يسمّيه يوحنا في رسائله، لم يأتِ بعد. ولكن هل ينطبق هذا على الفكر اليوحنوي؟ ألا يمكننا القول بأنه أتى بشخص يهوذا، ابن الهلاك؟ إن كان ذلك صحيحًا، يمكننا أن نفهم قسوة الإنجيلي الرابع تجاه يهوذا. ففي الإسكاتولوجيا اليوحنوية المحققة، أخذت شخصية يهوذا معنى المسيح الدجال، ابن الهلاك الذي ظهر أثناء حياة يسوع على الأرض وقبل عودته الى الآب. في حين يؤكّد بولس بأن مجيء المسيح بالمجد لن يتم إلا بعد وحي الشيطان لابن الهلاك بالعمل الشيطاني النهائي، يعتبر يوحنا الذي يؤمن بأن صلب المسيح هو تمجيده، وبأن صورة يهوذا ترمز الى الكفر النهيوي.

"ابن الهلاك" و"المسيح الدجّال"

نقرأ في ١ يو ٢: ١٨، ٢٢ نصًا مشابهًا لـ ٢ تس ٢: ٣ يؤكّد فيه الكاتب ما يلي: "سَمِعتُم بِأَنَّ مَسيحًا دجَّالاً آتٍ، وكَثيرٌ مِنَ المُسَحاءِ الدَّجَّالين حاضِرونَ الآن. مِن ذلِكَ نَعرِفُ أَنَّ هذه السَّاعَةَ هي الأَخيرة... مَنِ الكَذَّابُ إِن لم يَكنْ ذاكَ الَّذي يُنكِرُ أَنَّ يسوعَ هو المسيح؟ هذا هو المسيحُ الدَّجَّال ذلك الَّذي يُنكِرُ الآبَ والابْن". فـ"ابن الهلاك" الذي سيأتي في نهاية الأزمنة بحسب بولس، هو "المسيح الدجال"، بحسب ١ يو.

فمن هو المسيح الدجال (ἀντίχριστος) هذا الذي يعود ذكره في ١يو ٤: ٣ في الكلام عن مجيئة المستقبلي، فيما تعتبر ٢يو ٧ أنه حاضر يضلّ الناس؟

العبارة اليونانية مركبة من هذا الوحش ميتًا حينًا، في حين يبدو حينًا آخر حيًا في قعر البحر (عا ٩: ٣)، يراقب (أي ٧: ١٢) ويشكّل خطرًا أكيدًا.

ἀντί / χριστος، والـ ἀντί في اليونانية يمكن أن تعني "ضد" كما يمكن أن تعني "بدَل؛ حال محل"، بحيث تدل الـ ἀντίβασιλεύς إلى نائب الملك. لكن يمكن لنائب الملك هذا أن يغتصب الملك في بعض الأحيان فيصبح ملكًا دجّالاً، يأخذ مكان الملك الحق.

يبدو أن هذا هو المعنى الذي تأخذه عبارة ἀντίχριστος عند يوحنا. فالـἀντίχριστος هو مسيح مزوّر جعل ذاته مكان المسيح الحقيقي (رج مر ١٣: ٣٢؛ مت ٢٤: ٢٤)، من هنا المعاداة بينهما. ويبدو أيضًا أن يوحنا قد استوحى عبارة "المسيح الدجّال" من الصور العديدة التي زخرت بها الخلفية اليهودية عبر التاريخ، في الكلام عن معادي الله وشعبه، والتي يمكن أن نلخّصها بأربعة: الوحش البحري، والشيطان، والحاكم المتلبّس الشيطان، والنبي الدجّال.

أ- الوحش البحري: هو بطل أسطورة وثنية تتكلم عن معركة بين الإله الحق "مردوك البابلي أو بعل الكنعاني"، والوحش القديم (تيامات أو يمّ). وقد تحوّلت هذه الأسطورة في اليهودية إلى انتصار الله على التنين أو وحش البحر لوياثان (أش ٥١: ٩؛ مز ٧٤: ١٣-١٤؛ ٩٨: ١١؛ أي ٢٦: ١٢). يظهر

يعطي أي ٣: ٨؛ ٤٠: ٢٥-٤١: ٢٦ وصفًا لهذا الوحش، ويختم بأنه "ملك الوحوش كلها"، مما يبيّن محاولة نزع السُطُر عن هذه الصورة، وردّها الى دائرة السيطرة السياسية. وهو ما يظهر أيضًا في أش ٣٠: ٧ حيث "مصر ... هي التمساح الخائر"؛ وفي حز ٢٩: ٣ حيث الفرعون هو "التمساح العظيم الرابض في وسط روافد النيل". ويؤكد أش ٢٧: ١ أنه "في ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم الشديد لوياثان الحية الهاربة، لوياثان الحية الملتوية، ويقتل التنين في البحر".

ب- الشيطان أو الملاك المعادي: نقرأ في أي ١: ٦ و في زك ٣: ١ أن الشيطان المعادي هو ملاك يلعب دور خصم الإنسان، وهو الشيطان وحيّة سفر التكوين (تك ٣: ١-١٥) التي بها دخلت التجربة إلى العالم (حك ٢: ٢٤)، وما زالت الكراهية التي سببتها تتفاعل (١ تك ٣: ١٥). صار هذا الملاك رئيس ملائكة الشر، المعادي لشعب الله؛ وكأنه رئيس ملائكة الفرس المحارب ضد ميخائيل رئيس ملائكة شعب الله (دا ١٠: ١٣؛ ١٢: ١). قَوي هذا الملاك أكثر من كل "أبناء بليار" (يوبيلات ١: ٢)، فكانت له السيطرة (1QS 1: 18, 23-24; 2, 4-5)، وصار ملاك الظلمات (1QS 3:20-21)، وروح الفساد الذي يقود الناس إلى الخطأ والهلاك بعيدًا عن إرادة الله.

في الأناجيل الإزائية هو "القوي" الذي أتى ملكوت يسوع ليدمّره، والذي حاربه يسوع طيلة رسالته بطرده الشياطين خارجًا. وهو في إنجيل يوحنا رئيس هذا العالم (رج أف ٢: ٢) الذي وقع بانتصار يسوع. لكن بليال أو بليار، ما زال يعادي يسوع (٢ كو ٦: ١٥)، وما زال الشيطان يعمل في الأرض ضد عمل الرسل (١ تس ٢: ١٨)،

من هنا يؤكد بولس أننا "لا نحارب أعداء من لحم ودم، بل أصحاب الرئاسة والسلطان والسيادة على هذا العالم، عالم الظلام والأرواح الشريرة..." (أف ٦: ١٢). وبحسب أخنوخ ٦-١٦ يقود عزازيل الملاك الشيطاني أبناء الله في خطاياهم مع النساء (تك ٦: ١-٢)، لكنه طُرِح في هوّةٍ بانتظار الزمان الأخير عندما سيخوض معركة أخيرة قبل أن يُدمَّر.

وتستبق مخطوطات قمران هذه المعركة الأخيرة، فتصفها وكأنها حرب بين أبناء النور و"أبناء الظلام، جيوش بليال"، وهي تجمّع لكل القوى الوثنية (1QM I: 1-2).

ج- الحاكم المتلبّس الشيطان: كانت نتيجة تدمير إسرائيل على يد أشور، واحتلال يهوذا على يد نبوخذنصّر البابلي في الألف الأخير ق.م. أن وقع اليهود تحت حكم الأمم. ثم خضعوا للحكم الهلّيني السوري بشخص أنطيوخوس الرابع ابيفانوس (١٧٥-١٦٤ ق.م.) الذي حاول أن يضمّ اليهودية إلى أمبراطوريته من خلال إقناع اليهود بأن عبادة الله ليست سوى شكل من أشكال عبادة زوس أولمبيوس، الذي أقام له نصبًا في هيكل أورشليم (١ مك ١: ٥٤)، وهو ما سُمّي بـ"رجاسة الخراب" (دا ٨: ١٣؛ ١١: ٣١؛ ١٢: ١١). رأى اليهود في هذا الحدث وقاحة وتحدّيًا لله "ملك الملوك" بالذات (دا ٨: ٢٥). وقد اعتُبِر أنطيوخوس، بعد نبوخذنصّر، الرجل الذي ساوى نفسه بالله (٢مك ٩: ١٢). في وصفه لهذه الحقبة المظلمة من تاريخ شعب الله، جعل دانيال صورة من أنطيوخوس أبيفانوس صورة مستقبلية، فأصبحت رجاسته إشارة واضحة إلى الـ "سبعين مرة سبع سنوات" التي حددها الله للقضاء على المعصية وإنهاء الخطيئة... (دا ٩: ٢٤). وتحوّلت هذه الرجاسة إلى وسيلة للكلام عن الشر الأخير (مت ٢٤: ١٥).

كان المؤمنون ينتظرون إذًا معركة نهائية لقوى الشر الوثنية ضد شعب الله، بقيادة ملك جعلوه رمزيًا على صورة نبوخذ نصر أو أنطيوخوس أبيفانوس (اللذين تطاولا على الهيكل). وقد وصفه حزقيال بـ "جوج رئيس ماشك وتوبال في أرض ماجوج" الذي سينقضّ بقواه على شعب الله، لكن الله سيدمّره (حز ٣٨: ١ت). ووصف زكريا اليوم الأخير حيث تتجمّع كل أمم الأرض ضد أورشليم، فيحارب الله عنها (زك ١٤: ٢-٣)، وهو ما نجده في أخنوخ ٩٠: ١٣-١٨، وعزرا الرابع ٥: ٦-١٣، وفي صعود موسى ٨: ١، الخ.

د- النبي الدجّال: نقرأ في نص تث ١٣: ٢-٦؛ ١٨: ٢٠ عن النبي الذي سيخرج من شعب الله ويقوم بعجائب وآيات ويقود الشعب إلى عبادة آلهة غريبة. يصف النص هذا النبي بشكل عام، كنوع من الأنبياء يتناقض مع شخصية أنبياء الله، ومع شخصية النبي موسى، الذي يجب أن يأتي في المستقبل وأن يقول كلام الله، بشكل خاص (١٨: ١٥-١٩؛ رج 1QS 9:11). أخذ هذا النبي صورة فرد حينًا وصورة شخصية جماعية حينًا آخر للدلالة على الأزمنة الأخيرية (رج الديداكه ١٦: ٣-٤).

اجتمعت كل هذه الانتظارت، وبطرق مختلفة، في الانتظارت المسيحية الأخيرية. وهو ما يظهر جليًا في رؤ ١٢ حيث تبدو كل الانتظارات اليهودية القديمة واضحة في لوحة التنين العظيم أي الشيطان، الحية القديمة، الذي يحاول، أن يُهلِك المسيح. هذا الشيطان هو أولاً الوحش البحري (رؤ ١٣: ١-١٠) الذي يقود البشر إلى عبادة التنين؛ وهو من سيحارب القديسين ويجدّف على الله، على مثال أنطيوخوس أبيفانوس في دا ٧؛ وهو النبي الكذاب (رؤ ١٦: ١٣؛ ١٩: ٢٠؛ ٢٠: ١٠) الذي يقوم بالآيات آخذًا صور الله بالذات، لكنه سيُقيَّد لفترة طويلة من الزمن...

هذا هو الإطار الذي يجب أن نفهم من خلاله نص ٢ تس ٢: ١-١٢ عامة، والآية ٣ وعبارة "ابن الهلاك" بشكل خاص. فـ"ابن الهلاك" كما يظهر جليًّا من هذه الدراسة هو "المسيح الدجال" أو "بليال/بليار" وهو

"الشيطان/ ملاك الظلمات"، الخ. هذا الشخص الذي يمجّد ذاته، والذي يأخذ مكانه في هيكل الله معلنًا نفسه "الله" (٢تس ٢: ٤). يأخذ صفات أنطيوخوس أبيفانوس، وفي الوقت عينه يلعب دور أداة الشيطان الذي يقوم بعجائب وآيات، ويضلّ الكثيرين (٢: ٩-١٠). وهو النبي الكذاب الذي "سيقضي عليه يسوع بنفس من فيه، ويبيده بضياء مجيئه" (٢: ٨). وفي حين يبدو الوصف في مجمله أسطوريًا، تأتي بعض العبارات لتوّنه، وتظهر أن فتور الإيمان والابتعاد عن تتميم إرادة الله، هو جزء أساسي من آيات الأزمنة الأخيرة. فابن الهلاك ليس إذًا سوى صورة لأشخاص يلعبون عبر التاريخ دور المضلّ، أو المضطهِد، أو المحارب ... لكلمة الله ولشعبه المؤمن.

وإن كان من الصحيح ان "ابن الهلاك" في إنجيل يوحنا يظهر أثناء رسالة يسوع وقبل عودته إلى الآب (يو ١٧: ١٢)، فإن هذا الموضوع يبقى غير واضح المعالم، ومن الصعب تأكيد تفاصيله. فالنهاية آتية طبعًا، و"ابن الهلاك" وجِدَ منذ وجود المؤمنين، ولا يزال بيننا من يشبهه، وسيبقى موجودًا طالما أن ملكوت الله لم يتحقق بعد. أما كيف يكون سرّ نهاية هذا الزمن، وظهور الرب، وما هو سرّ العاملين على ذلك خيرًا أم شرًّا، فذلك ما لا يعلمه إلا الآب.